مكتبة ملبرن ودار التحف فيها

لحضرة وديع افندي ابي رزق كسلر قنصلاتو الدولة العلية بملبرن

ملبرن اكبر امهات استراليا اكتشف موقعها القبطان كوك الرحالة الشهير سنة ١٧٧٠ ودخلها الاوربيون سنة ١٨٠٣ ثم هجروها بعد شهرين و بقيت مهجورة الى سنة ١٨٣٥ وحينئذٍ اتاها الاوربيون واستوطنوها وسميت بهذا الاسم سنة ١٨٣٧ نسبة الى اللورد ملبرن حاكم تلك البلاد . ثم انفصلت هي والبلاد المحيطة بها عن ولاية سدني وجعلت ولاية مستقلة وجعلت ملبرن عاصمتها وكان عدد سكانها احد عشر الفاً سنة ١٨٥١ فبلغ نحو مئتي الف سنة ١٨٧١ وهو الآن نحو خمس مئة الف نفس وفي الولاية كلها اكثر من مليون نفس وتبلغ قيمة الصادر منها والوارد اليها في السنة اكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات . وفي مدينة ملبرن قصور جميلة البناء بلغت نفقات بعضها اكثر من ثمانمئة الف جنيه وكثير من المباني العمومية العظيمة كالمدارس والمشاهد ودور الحكومة ومنها دار مجلس النواب وقد بلغت نفقاتها نحو مليون. وشوارعها وسيعة جداً مثل اوسع شوارع العواصم الاوربية بل هي اوسع منها لان اتساع بعضها يبلغ ٩٩ قدماً . ومن اشهر مبانيها المكتبة العمومية ودار التحف

والداخل إلى دار التحف يجد في عرصتها تمثالاً لاحد قضاة ملبرن والى شماليه تمثال القديس جيورجيوس حامي انكلترا وعند الباب اسدان فاغران شدقيهما وعلى يمينه غرفة كبيرة مملوءة باسلحة الاقدمين من بلدان مختلفة وفي قسم الهند منها بنادق طويلة وسيوف صقيلة أُخذت من الهنود سنة ١٨٥٧ واهديت الى دار التحف وفي آخر الغرفة سلم تؤدي إلى غرفة اخرى مملوءة بالصور البديعة منها صورة للملكة فكتوريا جالسة على عرش الملك وقد ابتاعتها حكومة هذه البلاد بتسع مئة جنيه ومنها صورة بني اسرائيل وموسى الكليم وهو نازل من جبل سينا ومعهُ لوحا الشريعة وهي كبيرة جداً طولها نحو ثلاثة امتار ونصف وعرضها نحو مترين. والناظر اليها يظن انهُ انتقل الى عصر بني اسرائيل ورآهم عياناً وكلما زاد امعاناً فيها زاد اعجاباً بها . وقد صوَّرها المصور هربرت وابتاعتها حكومة ملبرن بالف وسبع مئة جنيه . وشمالي الغرفة صورة جوزفين زوجة نبوليون الاول وهي تمضي بيد مرتجفة الحكم الصادر بطلاقها ونبوليون واقف بجانبها بحالة الملكية محدق اليها بعينيه كأنهُ ينتظر اتمام هذا الامر بفروغ صبر . وكأني به قد ضرب صفحاً عن شريعة الرب التي بيد موسى الكليم وقال في نفسه الآن يتم لي ما اتمناهُ

وتصير فرنسا ملكاً لي الى الابد ولم يدُرْ في خلده ما كان مخبأً لهُ في زوايا الدهر فذهب ولم يبقَ ولد من نسلهِ وحرمت عائلتهُ من تاج فرنسا . وتجاه صورة موسى الكليم صورة اكبر منها تمثل قاطعي الطارق في ايطاليا وعند ارجلهم رجل قبضوا عليهِ وهو يستغيث ويستجير . وقد تأثرت من هذا المنظر الوحشي وتأملت في سرعة انتقال الفكر فان فظاعة هذه الصورة انستني جمال صورة بني اسرائيل ولم يدم استيائي من صورة قاطعي الطريق طويلا لاني رأيت بعدها صورة موكب الحج الشريف راجعاً من مكة المكرمة الى مصر فرافقني منظرهُ المهيب ومنظر الديار المصريَّة وقد اكتست بثوب الزمرُّد وجرى النيل في وسطها كسيف يحرُّ على نجاد اخضر

والى جانب هذه الغرفة غرفة كبيرة حوت من جميع اصناف المعامل ٱلَّتي في المسكونة فيظن الناظر اليها انهُ يتنقل في عواصم اوربا ومدنها الصناعيَّة ويرى ما امتازت بهِ كل مدينة منها وبجانبها حجارة كبيرة من معادن الذهب والفضة ونحوها من معادن هذه البلاد ٱلَّتي خصها الباري بغزارة الركاز وهو سبب غناها ونقدمها

وفي القسم الاسفل من هذا البناء معرض الاثمار والنباتات المختلفة والى الامام قليلاً غرفة كبيرة فيها تماثيل العائلة الانكليزية المالكة وبعض مشاهير الرجال والى يمينها سلم توصل الى المكتبة العموميَّة وهي مقسومة الى غرف كثيرة فيها مئة واربعون الف مجلد من نخبة الكتب واكثرها فائدة وهي بلغات مختلفة ولم ارَ بالعربيَّة الاَّ قاموس الفيروزابادي وتاريخ نوليون الاول ونسخة من الانجيل الشريف وكلها قديم الطبع . وقد انفقت الحكومة على هذه المكتبة نحو اربع مئة الف جنيه ويزورها كل سنة نحو ٤٣٤ الف نفس ويزورها هي ودار التحف نحو ٦٥٠ الف نفس

وقد جمعتني الايام بمدير هذه المكتبة فتجاذبنا اطراف الحديث في مواضيع مختلفة حتى انتهت المسامرة إلى ما في المكتبة من الكتب العربيَّة فاعربت لهُ عن تذمُّر السوريين نزلاء ملبرن من عدم وجود كتب عربيَّة فيها وكان معي جزء من المقتطف فاريتهُ اياهُ واخبرتهُ بمواضيعهِ وكثرة فوائدهِ وذكرت لهُ تاريخ نشأتهِ بالايجاز وما صدر منهُ من المجلدات حتى الآن واهتمام ابناء العربيَّة بمطالعتهِ فاعجب بهِ غاية الاعجاب وودَّ لو كان موجوداً في المكتبة واثنى على همة السوريين الذين بلغوا هذا الشأو من العلم